

مهارات التدبر وتفعيلها
لدى العامة والكبار

إعداد الدكتور

أبو البراء هاشم بن علي الأهدل

ملتقى التدبر الثاني - الرياض

١٤٣١/٦/٢٠هـ

بسم الله الرحمن الرحيم

تفعيل تدبر القرآن الكريم لدى العامة والكلبو

مقدمة

أنزل الله سبحانه وتعالى هذا القرآن لكل البشر، على اختلاف أعمارهم، وتنوع أقطارهم، وأرسل محمداً ﷺ ليدعو جميع البشر، قال تعالى : { وَمَا أَرْسَلْنَاكَ إِلَّا رَحْمَةً لِّلْعَالَمِينَ } الأنبياء ١٠٧ . ولم يتنزل هذا القرآن إلا ليكون لهم منهجاً وهادياً، وجاء أسلوبه واضحاً ودلالاته بينة لمن أقبل عليه بقلبه وفكره . ولذا فإن عموم المسلمين ليسوا في حاجة كبيرة إلى تفسير جميع ألفاظ ما يقرأون من القرآن، ولا يهتمهم معرفة دقائق أسلوبه وبلاغته، بقدر ما هم في أشد الحاجة إلى تعليم كيف يتدبرون القرآن ، ويدرسون آياته، ويتأملون في معانيه، فيكونون جميعاً طلاب علم أمام كلام الله تعالى .

إن فهم القرآن الله ليس صعباً أو مستحيلاً، و ليس في الإسلام فئة معينة أو جماعة متخصصة بتفهم القرآن الكريم للآخرين، وتوضيح ما يرشد إليه من دلالات، لا يحق لغيرهم الغوص في معانيه، وإنما القرآن نفسه الكتاب المنفتح أمام الجميع، الممتع في قراءته وعرض بدائعه . وهو المدرسة، التي من شروط الالتحاق بها أن يملك الإنسان أولاً وقبل امتلاك اللسان العربي، وقبل إتقان الألفاظ والعبارات، أن يحمل قلباً حياً، لديه آليات عمل فعالة ، فيتخرج الريانيون من تلك المدرسة، كل حسب تخصصه العلمي أو المهني. ولا يعني هذا أن ليس للعلماء المتخصصين دور في تذكير الناس وزيادة تفهيمهم لمعاني وأحكام القرآن، وإنما المقصود أن هذا القرآن ميسر للفهم، وكل مسلم يستطيع بما حباه الله من قلب وعقل أن يتحصل على معارف وكنوز القرآن، وأن يتأثر بإرشاداته وتوجيهاته.

المبحث الأول - العامة والكبار ... تحديد المفهوم

يختلف تعليم العامة من أفراد المجتمع عن تعليم الصغار، فعادة أفراد المجتمع هم الذين انخرطوا في الأعمال الحياتية، ولهم شخصياتهم المستقلة في التفكير والاهتمام . وهم يعيشون مرحلة القوة والنشاط، وغالباً ما يكونون في المرحلة العمرية التكليفية، وهم الكبار من الرجال والنساء في المجتمع.

وقد قسم القرآن الكريم مراحل العمر إلى ثلاث مراحل هي مرحلة الضعف، ثم القوة، ثم الضعف، قال تعالى: {اللَّهُ الَّذِي خَلَقَكُمْ مِنْ ضَعْفٍ ثُمَّ جَعَلَ مِنْ بَعْدِ ضَعْفٍ قُوَّةً ثُمَّ جَعَلَ مِنْ بَعْدِ قُوَّةٍ ضَعْفًا وَ شَيْبَةً يَخْلُقُ مَا يَشَاءُ وَهُوَ الْعَلِيمُ الْقَدِيرُ} (الروم: ٥٤)

يقول الطبري رحمه الله: "يقول تعالى ذكره لهؤلاء المكذّبين بالبعث من مشركي قريش، محتجا عليهم بأنه القادر على ذلك، وعلى ما يشاء: (اللَّهُ الَّذِي خَلَقَكُمْ) أيها الناس (مِنْ ضَعْفٍ) يقول: من نطفة وماء مهين، فأنشأكم بشرا سويا، (ثُمَّ جَعَلَ مِنْ بَعْدِ ضَعْفٍ قُوَّةً) يقول: ثم جعل لكم قُوَّة على التصرف، من بعد خلقه إياكم من ضعف، ومن بعد ضعفكم بالصغر والطفولة، (ثُمَّ جَعَلَ مِنْ بَعْدِ قُوَّةٍ ضَعْفًا وَ شَيْبَةً) يقول: ثم أحدث لكم الضعف، بالهرم والكبر عما كنتم عليه أقوىاء في شبابكم، وشيبة، ... قوله: (الَّذِي خَلَقَكُمْ مِنْ ضَعْفٍ) أي من نطفة (ثُمَّ جَعَلَ مِنْ بَعْدِ ضَعْفٍ قُوَّةً ثُمَّ جَعَلَ مِنْ بَعْدِ قُوَّةٍ ضَعْفًا) الهرم (وَ شَيْبَةً) الشمط. وقوله: (يَخْلُقُ مَا يَشَاءُ): يخلق ما يشاء من ضعف وقُوَّة وشباب وشيب (وَهُوَ الْعَلِيمُ) بتدبير خلقه (الْقَدِيرُ) على ما يشاء، لا يمتنع عليه شيء أراد، فكما فعل هذه الأشياء، فكذلك يمت خلقه ويحييهم إذا شاء. يقول: واعلموا أن الذي فعل هذه الأفعال بقدرته يحيي الموتى إذا شاء" ^١.

وقال ابن عطية: "هذه الآية إنما يراد بها حال الجسم، والضعف الأول هو كون الإنسان من ماء مهين، والقوة بعد ذلك الشيبة وشدة الأمر، والضعف الثاني الهرم والشح" ^٢.

إن أولئك الكبار هم الذين عناهم النبي ﷺ في حديث النصيحة، قال ﷺ: (الدين النصيحة) قيل لمن يا رسول الله؟ قال: (لله ولكتابه ولرسوله ولأئمة المسلمين وعامتهم) ^٣.

يقول محمد يسري: " قيل الإمامة على أربعة أوجه: إمامة وحي وهي النبوة، إمامة وراثة وهي العلم، وإمامة عبادة وهي إمامة الصلاة، وإمامة مصلحة وهي الخلافة، فالأئمة هم الخلفاء والأمراء ونوابهم والعلماء والمصلحون، (وعامتهم) وهم من

^١ - تفسير الطبري،

^٢ - المحرر الوجيز، ج ٧ ص ٣٦.

^٣ - رواه

عدا الأئمة، ويلاحظ أن النبي ﷺ لم يذكر حرف اللام معهم، فلم يقل (ولعامتهم) لأنهم كالأتباع للأئمة، لا استقلالاً لهم^٤.

المقصود بتعليم الكبار

لهذا النوع من التعليم أسماء متعددة، فمنهم من يسميه بالتربية مدى الحياة، أو التعليم مدى الحياة، أو التعليم المستمر، أو التربية الدائمة، أو التربية بعد المرحلة الثانوية، ومن المتخصصين من يطلق عليه مصطلح تأهيل الدارسين، أو تطوير القوى العاملة، أو التربية من أجل التطوير. ومن أنسب المسميات لموضوع التدبر هو التعليم أو التربية المستمرة، أو التعليم أو التربية الدائمة، لأن المراد به التعليم بعد مراحل التعليم العام التي تنتهي بالمرحلة الثانوية.

ويعرف تعليم الكبار بأنه: "التعليم الهادف المنظم الذي يقدم للبالغين والراشدين، أو الكبار غير المقيدون في مدارس نظامية من أجل تنمية معارفهم ومهاراتهم، أو تغيير اتجاهاتهم وبناء شخصياتهم"^٥.

ولا شك أن التعلم والتعليم للكبار الذين جاوزوا المراحل الدراسية، وانخرطوا في المجالات العملية هو نوع من التعليم المستمر، والزيادة المعرفية، وهو استحابة للدعوة القرآنية للتزود العلمي والتربوي، قال تعالى: {فَتَعَالَى اللَّهُ الْمَلِكُ الْحَقُّ وَلَا تَعْجَلْ بِالْقُرْآنِ مِنْ قَبْلِ أَنْ يُقْضَىٰ إِلَيْكَ وَحْيُهُ وَقُلْ رَبِّ زِدْنِي عِلْمًا} طه ١١٤. يقول ابن جرير: "وقوله (وَقُلْ رَبِّ زِدْنِي عِلْمًا) يقول تعالى ذكره : وقل يا محمد : رب زدني علما إلى ما علمتني أمره بمسألته من فوائد العلم ما لا يعلم"^٦. وقال البغوي: "{وَقُلْ رَبِّ زِدْنِي عِلْمًا} يعني بالقرآن ومعانيه . وقيل: علماً إلى ما علمت . وكان ابن مسعود إذا قرأ هذه الآية قال: اللهم زدني علماً وإيماناً ويقيناً"^٧.

دوافع الكبار للتعلم

يهتم المربون بدراسة الدوافع لدى المتعلمين، لأن معرفتها يساعد في اختيار الوسائل المناسبة لاستثمارها، ويدعم سرعة تنفيذها، وتمثل دوافع التعلم طاقة حيوية توجه السلوك وتعززه، وتلي الحاجات الأساسية سواء كانت فطرية أو

^٤ - الجامع في شرح الأربعين النووية، ح ١ ص ٣٣٤.

^٥ - تعليم الكبار والتعليم المستمر.. المفهوم الخصائص التطبيقات، ص ١٦.

^٦ - تفسير الطبري

^٧ - مختصر البغوي المسمى معالم التنزيل

نفسية، وقد أثبتت الدراسات أن هـ "تتوقف مشاركة الرجل البالغ أو المرأة البالغة (في غير سن التعليم النظامي) على الدافعية، ويمكن تقسيم هذه الدافعية إلى قسمين رئيسيين، الأول: الدافعية الفردية، والثاني: الدافعية الجماعية"^٨.

ويشارك الكبار في مجالات التعلم والتعليم لأسباب ودوافع منها:

- الشعور بالرضا عن النفس وتقدير الذات، والثقة بالقدرات الكامنة.
- الاستمتاع بالمحتوى العلمي وزيادة المعرفة، والاستمتاع بممارسة المهارات وتنميتها.
- شغل أوقات الفراغ، و تغيير أسلوب الحياة الروتيني الذي قد يسبب الأمراض
- زيادة فرص تكوين الصداقات، وتقوية العلاقات الاجتماعية .
- الشعور بالإنتاج حين التعلم أو إفادة الآخرين .

يقول علي مذكور : "أهم حاجات الكبار ودوافعهم هي الأمان والحب والانتماء، والإبداع، وتحقيق الذات، واكتشاف قدرات جديدة واستخدامها في العمل، والرغبة في الحصول على دور اجتماعي جاد وفعال"^٩.

أما دوافع الكبار للتدبر فهي تندرج تحت الحاجات الإيمانية التي تشعر النفس الإنسانية بالرغبة فيها، ولا تهدأ وتطمئن إلا بالتزود منها . و تقع ضمن الحاجات الثقافية، التي هي حاجة الفرد إلى تحصيل نوع من الثقافة، يحس هو بالحاجة إليها، مثل انتساب بعض الرجال والنساء إلى مدارس ومعاهد تحفيظ القرآن والدراسات الإسلامية، ودراسة اللغات في مراكز خدمة المجتمع"^{١٠}.

^٨ - المرجع في تعليم الكبار، ص٩٨.

^٩ - تعليم الكبار والتعليم المسمر .. النظرية والتطبيق، ص ٤٠.

^{١٠} - المرجع في تعليم الكبار، ص٩٨.

المبحث الثاني - أهمية التدبر للكبار وأهدافه

أنزل الله سبحانه وتعالى القرآن ليكون دستوراً ومنهجاً للبشرية أجمع، ففيه الهدى والنور والسعادة، فهو الطريق الموصل إلى مرضاة الرب والفوز بالجنة والنعيم المقيم، قال تعالى : { إِنَّ هَذَا الْقُرْآنَ يَهْدِي لِلَّيِّ هِيَ أَقْوَمُ وَيُشِيرُ الْمُؤْمِنِينَ الَّذِينَ يَعْمَلُونَ الصَّالِحَاتِ أَنَّ لَهُمْ أَجْرًا كَبِيرًا } {الإسراء: ٩}.

ولكن هذه الحقيقة لن يحصل عليها إلا المسلم الذي التزم بسر النجاح والتوفيق، هذا السر هو العمل بما يرشد إليه القرآن، وهو الذي يتحقق بعد التفكير والتدبر، أي أن القراءة المجردة التي يستطيعها غير المسلم، لا تنفع النفع اللطمل، ولا توصل إلى السعادة الأبدية .

والقرآن حياة للروح والبدن، فبه تحيا القلوب الحياة المثمرة، التي بها يستنير الطريق، وفيه النور الذي يضيء الدرب للسالكين، وبهذا النور يزداد الإيمان وتزول ظلمات الشهوات والشبهات، قال تعالى : { وَكَذَلِكَ أَوْحَيْنَا إِلَيْكَ رُوحًا مِنْ أَمْرِنَا مَا كُنْتَ تَدْرِي مَا الْكِتَابُ وَلَا الْإِيمَانُ وَلَكِنْ جَعَلْنَاهُ نُورًا نَهْدِي بِهِ مَنْ نَشَاءُ مِنْ عِبَادِنَا وَإِنَّكَ لَتَهْدِي إِلَى صِرَاطٍ مُسْتَقِيمٍ } {الشورى: ٥٢}.

من أجل ذلك ، كان لا بد من التفكير والتدبر في آيات الكتاب، وألا يكون هم التالي لآياته، متى ينتهي من الجزء أو السورة، أو الصفحة ، وألا يكون هم المستمع توقف القارئ أو إقفال جهاز الاستماع . وينبغي أن يتيقن المسلم أن هذا القرآن أنزل لغاية محددة، وهو التذكر والتدبر، قال تعالى : { كِتَابٌ أَنْزَلْنَاهُ إِلَيْكَ مُبَارَكٌ لِيَدَّبَّرُوا آيَاتِهِ وَلِيَتَذَكَّرَ أُولُو الْأَلْبَابِ } {ص: ٢٩}، فيقرأه حين ذلك بقلب مفتوح، مقبل على توجيهاته، عازم على تنفيذ أوامره واجتناب نواهيه.

إن التلاوة مطلوبة، والتدبر مطلوب، والعمل مطلوب، ولا يكفي الأول والثاني دون الثالث، يقول الشيخ صالح الفوزان: "إذا اقتصرنا على التلاوة والتدبر وتركنا العمل فإننا وقفنا في أول الطريق، ولم نح صل على شيء...، لأن الثمرة هي العمل بالقرآن، ..، فمن اقتصر على تعلم القرآن وتلاوة القرآن وتدبره ، ولم يعمل به، فهذا أقام الحجة على نفسه، ولهذا يقول بعض السلف : رب قارئ للقرآن، والقرآن يلعنه، قالوا وكيف ذلك؟ قال : يقرأ قول الله سبحانه وتعالى : { فَتَجْعَلْ لَعْنَتَ اللَّهِ عَلَى الْكَاذِبِينَ } آل عمران ٦١، وهو يكذب، ويقرأ قول الله سبحانه وتعالى: { أَلَا لَعْنَةُ اللَّهِ عَلَى الظَّالِمِينَ } {هود: ١٨}".^{١١}

^{١١} - تدبر القرآن، ص ٢٥.

وبهذا المنهج التعليمي ذي المراحل الثلاث: التلاوة والتدبر والعمل، يصل المسلم إلى الغاية التي ينشدها كل مسلم عاقل، ألا وهي مَرْضَاة أكرم الأكرمين، والحشر مع الصالحين، والخلود في النعيم المقيم إلى أبد الآبدين، قال تعالى: { وَمَنْ يُطِعِ اللَّهَ وَالرَّسُولَ فَأُولَئِكَ مَعَ الَّذِينَ أَنْعَمَ اللَّهُ عَلَيْهِمْ مِنَ النَّبِيِّينَ وَالصَّادِقِينَ وَالشُّهَدَاءِ وَالصَّالِحِينَ وَحَسُنَ أُولَئِكَ رَفِيقًا } النساء: ٦٩.

أهداف تعليم التدبر للكبار

تسعى الأمم المتحضرة لتعليم الكبار في المجتمع، ومن أهداف تعليم الكبار : تكوين الرأي العام، ومعالجة التخلف، وتوجيه الشروة البشرية، ومحو الأمية وغيرها من الأهداف . وذكر علي مذكور عددا من الأهداف التربوية لتعليم الكبار، وهي : تعميق شعور الإيمان بالله، وتحقيق الوسطية والعدالة، والقيام بواجب الأمر بالمعروف والنهي عن المنكر، العمل على استعادة تميز الأمة، وتحقيق ذات ال كبير وفق الفطر، وتصحيح المفاهيم، ومحو الأمية الحضاري والوظيفي والهجائي، وتنمية الاتجاهات نحو التربية المستمرة، وتنمية القدرة على مواجهة المتغيرات، والإسهام في بناء المجتمع المتحضر^{١٢}.

إن المجتمع المسلم الذي يؤمن بالله رباً، وبمحمد ﷺ نبياً ورسولاً، وبالإسلام ديناً، وبالقرآن منهجاً ودستوراً سوف يتبنى كل ما من شأنه لرفعة أفراد، صغاراً وكباراً، عامةً وخاصةً، في جميع الجوانب. والأمة المسلمة تسعى لتعليم الكبار، لتحقيق أهداف متعددة، أهمها التربية الإيمانية، "وتعليم الكبار ما هو إلا تربية لهم ، فالتربية والتعليم بمعنى واحد، والهدف الأسمى لتعليم الكبار هو بناء إنسانية الإنسان، والحفاظ على استقامة فطرة الله فيه، وبناء ضميره اليقظ، وقدرته على الاختيار الواعي المسئول، وبذلك يكون قادراً على عمارة الأرض من حوله، وترقية الحياة على ظهرها وفق التصور العقيد الذي يؤمن به، هو والمجتمع الذي يعيش فيه"^{١٣}.

ومما يعمق الشعور الإيماني تعليم الكتاب العظيم، فهذا القرآن ينمي الصلة بالله تعالى، ويربط النفس بالخالق، ويجعله يعيش في رحاب الإيمان، وهذه المشاعر الوجدانية تتجأ مع الفرد في تعليمه منذ الصغر، وتستمر معه، بالمعاهدة في الكبر، "وإذا نجح المعلم في إثارة عاطفة الدارس وشعوره، فقد نجح في أن يتجاوز به مرحلة التأثر والإحساس إلى مرحلة السلوك العملي القويم. ويلزم هذا السلوك صاحبه مدى الحياة، كما أنه هو الذي يحدد شخصيته الدينية وعلاقته بخالقه، في المجتمع الذي يعيش فيه . فالدين روح وتأثر وشعور وإحساس، ولا يقاس نجاح المعلم بمدى ما حفظ الدارسون من

^{١٢} - منهج تعليم الكبار.. النظرية والتطبيق، ص ١٨٣-١٩١.

^{١٣} - منهج تعليم الكبار.. النظرية والتطبيق، ص ١٨١.

نصوص وسير، ولكته يقاس بمدى ما انطبع قي نفوسهم من العقائد الصحيحة، وما انطبعوا عليه من الاستقامة والعمل الطيب والسلوك الحميد"^{١٤}.

وينتشر في المجتمعات المسلمة حلق ومؤسسات تعليم القرآن ، للصغار والكبار، ولكل منها أهدافه المناسبة للمرحلة العمرية، ومن أهداف إقامة حلقات القرآن للكبار ما يلي^{١٥} :

- ١- نشر القرآن الكريم العظيم بين جميع فئات المجتمع .
- ٢- ربط المجتمع بكتاب الله تعالى .
- ٣- شغل أوقات الفراغ لدى الكبار .
- ٤- الاهتمام بكل من يرغب في تعلم كتاب الله ممن لا تسعه الحلقات .
- ٥- تصحيح وتقويم ألسنة الكبار وتلاوة القرآن بشكل صحيح .
- ٦- التشجيع على تعليم القرآن الكريم داخل الأسرة .
- ٧- ربط المنزل بكتاب الله تعالى عن طريق رب المنزل .
- ٨- فهم مراد الله جل وعلا من كلامه .
- ٩- نشر الوعي القرآني بين الكبار .
- ١٠- تصويب بعض الأخطاء التربوية لدى الآباء .
- ١١- ربط الكبار بالمساجد وبيوت الله تعالى .
- ١٢- ربط الكبار بالصحة الخيرة المعينة على طاعة الله تعالى .

أما أهداف تعليم التدبر للكبار:

- تعميق محبة الله وتقواه في النفوس .
- تنمية الجوانب الإيمانية والخلقية لديهم .
- تقوية الميل نحو قراءة القرآن و زيادة الاتصال بكتاب الله تعالى .
- ربط الخبرات المتراكمة لدى الكبار بالآيات القرآنية .

^{١٤} - طرق تعليم الكبار، ص٩٨.

^{١٥} - <http://www.quranmakkah.org>

المبحث الثالث

الواجبات المتحتمات على أهل العلم والمتخصصين لغرس مفهوم التدبر لدى العامة

للغامة والكبار حقوق على أهل العلم والمتخصصين، ينبغي أن يؤدوها، وهي من النصيحة التي أمر الله بها رسول الله ﷺ، وتشمل النصيحة "إرشادهم إلى مصالحهم وتعليمهم أمور دينهم ودنياهم، يقول ابن رجب رحمه الله : "ومن أهم الأمور النصيحة لهم فيما يتعلق بكتاب الله من حيث تع ليم التلاوة والتجويد والتفهم والتدبر، وموضوع التدبر من أجل أنواع التعليم عناية واهتماما لدى المعلمين والمتعلمين من الصغار والكبار"^{١٦}.

لابد أن يسعى المربون والناصحون من أهل العلم والمتخصصين في العلوم القرآنية ل تكوين الاتجاه الذاتي لدى العامة نحو تدبر القرآن، وهذا الموضوع يتعلق بعملية التنشئة الاجتماعية التي يسعى المربون لغرسها في نفوس المتعلمين، أو تتأصل في نفسية المتعلم نتيجة الخبرة الذاتية أو تأثير البيئة التعليمية . ويسهم الاتجاه في تحديد الوسائل المعينة في تلبية الحاجات، فمعرفة الاتجاه وتقويته ضروريان لنجاح العملية التربوية . والاتجاه هو استعداد وجداني مكتسب ثابت نسبياً يميل بالفرد إلى موضوعات معينة فيجعله يقبل عليها ويحبها أو يرحب بها ويحبها أو يميل عنها ويكرها . ولا ريب أن جعل هذا الاستعداد الوجداني نحو التدبر ثابتاً يتطلب القيام بوسائل متنوعة تدفع المتعلمين لذلك ، ومن الوسائل المقترحة ما يلي:

أولاً - حث العامة على كثرة التلاوة والقراءة في المصحف

لا يحسن بالمسلم أن ينقطع عن كتاب الله، ويهجر تلاوته، ومن الخسارة أن يقضي أوقاتاً في قراءة صحف ومجلات، أو متابعة برامج وقنوات، وهي بعيدة عن كتاب الله، وتعلمه، وتفهمه.

^{١٦} - جامع العلوم والحكم، ص ٧٠.

وفي كثرة التلاوة من المصحف إعانة على التدبر والتأمل، يقول د . عصام العويد: " إن النظر في المصحف والتأمل فيه يحبه الله تعالى، لما فيه من الإعانة على التدبر، لأنه أمكن من التلاوة عن ظهر قلب "١٧. وينبغي التنبيه أن كثرة التلاوة وحدها لا تكفي، ولكنها هي الطريق لفتح القلوب مع القرآن.

فالواجب الاهتمام باستثمار الأوقات للتلاوة الفردية في المنازل والمساجد، وأن تعقد حلق الدروس القرآنية في المساجد، وأماكن تجمعات الكبار، وهي من المدارس التي حث عليها النبي ﷺ بقوله "ما اجتمع قوم يتلون كتاب الله عز وجل، ويتدارسونه بينهم، إلا نزلت عليهم السكينة، وغشيتهم الرحمة، وحفتهم الملائكة، وذكرهم الله فيمن عنده"١٨.

ثانياً- تعليم العامة كيفية قراءة القرآن القراءة الصحيحة

يقرأ المسلمون القرآن، ولكن كثيراً منهم لا يلتزم بالتلاوة الصحيحة، ولا يحافظ على منهجية القراءة . فلستمع لبعض التالين في المساجد يجد أخطاء القراءة في الصفحة الواحدة أكثر من أن تحصى، من تغيير للألفاظ، أو لحن في الإعراب، أو غير ذلك، "ومن عظيم شأن القرآن عند الذي تكلم به سبحانه، أن كيفية القراءة لم تترك لنا، بل جاء القرآن بالكيفية التي تكون عليها قراءته"١٩.

وهناك آداب قلّ من يلتزم بها عند القراءة، وهي معينة على التدبر، مثل الإخلاص والطهارة والسواك واستقبال القبلة، وعدم العجلة في القراءة يقول الله تعالى: { وَقرآنًا فرقناه لتقرأه على الناس على مكثٍ ونزلناه تنزيلاً } الإسراء: ١٠٦. فالتزام التالي بتلك الآداب يجعل القلب أقرب للخشوع، والألفاظ والمعاني أثبت في النفوس.

ومن الآداب الترتيل والوقوف على رؤوس الآي، كما كان هدي النبي ﷺ، تقول حفصة رضي الله عنها: (ما رأيت رسول الله ﷺ صلى في سبحته قاعداً حتى كان قبل وفاته بعام، وكان يصلي في سجده قاعداً، وكان يقرأ بالسورة فيرتها حتى تكون أطول من أطول منها)٢٠. ولا شك أن الالتزام بهذه الآداب يساعد على التدبر، الأمر الذي يستدعي التأكيد عليها في المحاضرات والندوات، وخطب الجمع وغيرها.

١٧ - فن التدبر في القرآن، ص .

١٨ - رواه مسلم في كتاب باب .

١٩ - فن التدبر في القرآن، ص ٢٩.

٢٠ - رواه مسلم برقم ٧٣٣ في كتاب صلاة المسافرين باب جواز النافلة قاعداً وقائماً.

ثالثاً - تكثيف الدروس الإيمانية والمواعظ القلبية

إن انشغال العامة بالدنيا وملهياتها، وإقبالهم على أعمالهم وتخصصاتهم، قد يجعل الران يكسو قلوبهم، وطبيعة الران أنه يمنع وصول الأثر التدبري للقلوب، فتكون تلك الدروس والمواعظ هي مما يفتح مغاليق القلوب لتلقي ما تدل عليه الآيات وما ترشد إليه . والكافر أو الملحد الذي يقرأ آيات من القرآن الكريم لا يجد لها أثراً في قلبه، أما المؤمن المتجاوب مع كتاب الله فتؤثر فيه وتنفعه وترفعه، قال تعالى: { أَفَمَنْ كَانَ عَلَىٰ بَيِّنَةٍ مِنْ رَبِّهِ وَيَتْلُوهُ شَاهِدٌ مِنْهُ } هو د ١١٧ .

يقول ابن تيمية رحمه الله: "فتبين أن قوله تعالى (أفمن كان على بينة من ربه) يعني هدى الإيمان، (ويتلوه شاهد منه) أي من الله، يعني القرآن، "شاهد من الله يوافق الإيمان ويتبعه، وقال (ويتلوه) لأن الإيمان هو المقصود، لأنه إنما يراد بإنزال القرآن الإيمان وزيادته،...، ولهذا كان الإيمان بدون قراءة القرآن ينفع صاحبه، ويدخل به الجنة، والقرآن بلا إيمان لا ينفع في الآخرة" ٢١ .

رابعاً - إفشاء دروس السيرة النبوية المرتبطة بالآيات القرآنية

إن الواجب على أهل العلم أن يبينوا سيرة الرسول ﷺ للعامة، وأن تُكثف الدروس والمحاضرات في المساجد والمكتبات للتعريف بها، وربطها بواقع الناس . إن إفشاء القصص والمواقف النبوية تحث على الالتزام بهدي النبي ﷺ وسنته، من الزاد الضروري ليوم المعاد، والمنجي في الدنيا من الهلاك والفساد.

وفيما يتعلق بالتدبر، يمكن أن يكون منطلق تلك الدروس هو الآيات القرآنية المرتبطة بأحداث السيرة النبوية، لأنها، أي السيرة، هي في الواقع صورة مقتبسة من القرآن الكريم، "وذلك لأن القرآن الكريم هو أصدق الكتب المشهودة قاطبة، وهو أوعاها وأحفظها لما مر بالبشرية من أحقاب وحوادث، خلدها رب السماء في كتابه المحفوظ، الذي لا يأتيه الباطل من بين يديه ولا من خلفه، تنزيل من حكيم حميد، ليكون الدليل القاطع على صدق القضية { مَا فَرَطْنَا فِي الْكِتَابِ مِنْ شَيْءٍ } الأنعام ٣٨، ولأن القرآن الكريم على لسان الخالق جل وعلا، كان خير مصور لشخصية النبي ﷺ، وليس هناك أبر ولا أصدق ولا أوفى بالكلام منه" ٢٢ .

٢١ - مجموع الفتاوى، ج ١٥ ص ٧ .

٢٢ - سيرة الرسول ﷺ .. صور مقتبسة من القرآن الكريم، ج ١ ص ٤ .

خامساً - التفعيل الإعلامي لمفهوم التدبر

لقد غزا الإعلام البيوت والمجتمعات، وأثر في سلوك العامة وفكرهم، وشغل أوقاتهم، بل وأخذ أموالهم، ولذا فإن من الواجب أن يستثمر المخلصون تلك الآلة الحديثة في نشر المفاهيم الإسلامية، ومنها مفهوم التدبر . ومن الصور المقترحة ما يلي:

- المشاركة في البرامج الإعلامية الخاصة بالقرآن، عبر القنوات الفضائية والإذاعات المسموعة.
 - إنشاء المواقع القرآنية الخاصة بتفسير القرآن وبيان معانيه ودلالاته، وجوانب الإعجاز القرآني وغيرها.
 - كتابة المقالات في الصحف والمجلات السيارة، والمنتديات الفعالة، وربط تلك المقالات بالأحداث اليومية، ما أمكن ذلك.
 - تأليف الكتب والنشرات المتضمنة لوقفات واستنباطات في تدبر القرآن وفهم مرامييه، أو تلك التي تناقش القضايا المتعلقة بمعاش الناس وحياتهم اليومية.
- لا شك أن هذه المقترحات وغيرها كثير ، قد أصبح واقعاً ملموساً، ولكنه لا يكفي، وهنا يأتي دور المؤسسات الح كومية والأهلية والتطوعية لسد النقص وإكمال الحد الأدنى المطلوب.

المبحث الرابع - أهم المهارات العملية للتدبر لدى العامة

لا بد للفرد من حصوله على عدد من المهارات التي تمكنه من أن يصل إلى مرحلة إتقان التدبر ، وتعرف المهارة بأنها "نشاط عضوي إرادي مرتبط باليد أو اللسان، أو العين، أو الأذن"^{٢٣}، أي أن مهارة التدبر تعتمد على تحريك اللسان بقراءة الألفاظ القرآنية، وتحديق النظر إليها وعدم الانشغال عنها أو الالتفات يمنة أو يسرة، هذا في أثناء التلاوة، وقد يكون التدبر باستعمال الأذن لاستعمال ما يتلى من الآيات، وفي جميع الحالات السابقة لا بد من تشغيل الذهن وإعمال الفكر لفهم المعاني والدلالات التي يرشد إليها السياق القرآني .

"وتعد المهارات مجموعة القدرات التي تمثل الإمكانيات على تنفيذ مهمة معينة أو محدودة، بدرجة إتقان عالية، كما أن المهارة تعد أمراً تراكمياً، تبدأ بالشيء الصغير حتى تصبح شيئاً كبيراً، ولهذا تبدأ المهارات من البسيطة إلى المعقدة"^{٢٤}. وهذا يعني أن مهارة التدبر تتدرج تعلماً مع مر احل النضج الجسدي والفكري، وتتحسن إتقاناً بالممارسة والتدريب، ولكي يحصل الفرد على التدبر، يلزمه توفير أمرين:

الأول: أن يعرف نظرياً المعنى المقصود من التدبر .

الثاني: الممارسة والتدريب العملي المرتبط بالمفهوم النظري .

ونورد فيما يلي عدداً من المهارات المقترحة لتحصيل منهج التدبر، وبعض الطرق العملية لتفعيلها .

^{٢٣} - أساليب تدريس مهارات اللغة العربية وآدابها، ص ١٩ .

^{٢٤} - مهارات في اللغة والتفكير، ص ٢٤ .

أولاً - اتخاذ أسلوب التكرار للآيات لتحقيق التدبر

يقصد بالتكرار ما يقوم به الشخص من ترديد للآيات وقراءتها المرة بعد المرة في المجلس الواحد، ويعد هذا الأسلوب من الأساليب المهمة في التدبر والتفكير، ويكفي للدلالة على أهميته أنه فعل النبي ﷺ، و كان عادة سلف الأمة وأخبارها.

ومن الطرق العملية لتفعيل هذه المهارة ما يلي:

- معرفة أن التدبر يمكن أن يحصل عليه الإنسان بالتكرار، وبه يعيش في جنة القرآن، ويذوق القلب حلاوة الإيمان.
- ترديد الآية الواحدة عدة مرات، وقد يكررها عشرات المرات إذا وجد أن القلب يتحارب معها.
- التحلي بالصبر والمجاهدة لتعويد النفس على التكرار بدون ملل أو كلل.
- الالتزام بأداب التكرار ومنها عدم تشتيت النظر في الأشياء المحيطة بالقارئ، وعدم متابعة تحركات الآخرين وحواراتهم.

ثانياً - المحافظة على قيام الليل والتنعم بتلاوة الآيات

الوقت في الليل مظنة الحضور والفهم للتلاوة القرآنية، لأن النهار تكثر شواغله وعوارضه الدنيوية والدينيوية، والقيام بعد النوم، للتلاوة والصلاة، صحة للجسم، وتقوية للبدن، ومطرقة للداء عن الجسد، وهو أكثر نشاطاً للذهن، وفيه يتوافق السمع مع القلب لتفهم القرآن وتبين معانيه.

ومن الطرق العملية لتفعيل هذه المهارة ما يلي:

- الاقتداء بالنبي ﷺ في الصلاة بالليل، والتهجد بركيعات بعد القيام من النوم، يتلو فيها الفرد الآيات التي يقرؤها، بالتفكير والتدبر.
- استحضار شفاعة القرآن لصاحبه المصلي بالليل، فيدفعه ذلك لقيام الليل مهما كانت الظروف والموانع.
- استثمار أوقات النشاط، و الاتصاف بالحالة الذهنية الواعية، وعدم الصلاة والقراءة في حالة التعب أو الإعياء.

- التعويض في الفترة الصباحية لمن فاتته القيام بالليل لعذر شرعي، وفي ذلك تربية على الثبات والاستمرار، وأحب العمل إلى الله أدومه وإن قل .
- التعاون مع الأقارب والأصدقاء والرفقاء، وتنشيط بعضهم بعضاً، للقيام بهذه العبادة في رحلات الحج والعمرة، أو السفر الجماعي المباح.

ثالثاً - التفكير في أسماء الله الحسنى والتدبر من خلالها

- يتعبد المسلم ربه بالأعمال الصالحة المشروعة، ومنها أداء الصلوات، والمداومة على الأذكار، وقراءة القرآن وغيرها. ومن الأعمال الصالحة التي يتعبد المسلم ربه بها، التفكير في أسماء الله الحسنى الواردة في الآيات القرآنية.
- ومن الطرق العملية لتفعيل هذه المهارة ما يلي:

- الوقوف والتأمل في الأسماء الواردة في الآيات، كالسميع، والبصير، والغفور، والرحيم، والتأمل في لفظها ومعناها.
- الحرص على العمل بالأسماء الحسنى ومدلولاتها، فيقتبس القارئ من الأسماء الحسنى ما يتعبد به المولى سبحانه، فمن اسمه (الصبور) يتحلى بالصبر بأنواعه الثلاثة.
- سؤال الله في كل مطلوب، باسم يناسب المقام ويقتضيه، فعثلاً حين يطلب من ربه الرحمة والمغفرة، يدعوه بلقب الغفور الرحيم.
- التنبيه إلى الأسماء المقترنة في بعض الآيات، مثل (السميع البصير) و (حكيم عليم)، والتفكير في معنى كل اسم على انفراد، وما في الاقتران من دلالات مرتبطة بالآية، ويستعان في ذلك بكتب اللغة والتفسير.

رابعاً - قراءة قصص المتدبرين وأحوالهم

- إن النموذج القدوة في التدبر يدفع الآخرين للتقليد والمتابعة، وفي قراءة سير المتدبرين شحذ للهمم، وتحريك للقلوب الغافلة، وإيقاظ للعواطف الوجدانية.
- ومن الطرق العملية لتفعيل هذه المهارة ما يلي:

- دراسة منهج النبي ﷺ في قراءته للقرآن، والقصص الواردة في تأثره بالآيات التي يتلوها.
- قراءة قصص الصحابة والتابعين رضي الله عنهم في تفاعلهم مع القرآن، ومعايشتهم لتنزله عليهم.
- التأمل في أحوال المتدبرين، وحفظ الله لهم في العاجل والآجل.

خامساً - ربط الآيات المتلوّة بالواقع الشخصي للقارئ

عندما يتيقن القارئ أن هذا الكتاب لم ينزل للأمم السابقة، وأن حديثه عن الأخبار و الحوادث المستقبلية فيه دروس للأمم الحاضرة، عندها يتعايش مع القرآن وألفاظه ومعانيه، ويستشعر أنه ينزل عليه مباشرة، وأن الآيات تخاطبه، وأنها خاصة به دون غيره من العالمين.

ومن الطرق العملية لتفعيل هذه المهارة ما يلي :

- تنزيل الآيات على واقع الإنسان نفسه، وتخصيصها بحاله وشخصيته، ليساهم ذلك في تغييرها نحو الأفضل.
- تربية النفس على الرجوع لأهل العلم حين الوقوع في الأحداث والفتن، لمعرفة رأي القرآن وحديثه عنها، وقد ورد في الذكر أنه ما فرط في القرآن من شيء.
- استثمار الأحداث والمناسبات في تدبر الآيات، وجعلها تلامس المواقف الحياتية التي يعيشها الناس.

سادساً - التعرف على كيفية التدبر وصوره

إن الجاهل بطرق التدبر وصوره، لا يستطيع أن يمارس التدبر، وبالتالي لن يتحصل على آثاره الحميدة ونتائجه المثمرة، وأحوال التدبر متعددة ومتنوعة، وهي ماثورة في كتاب الله وسنة رسول ﷺ .

ومن الطرق العملية لتفعيل هذه المهارة ما يلي :

- التعرف على حال النبي ﷺ وصحبه الكرام في كيفية قراءتهم للقرآن وتأثرهم به، وبكائهم وخشوعهم.
- إحياء سنة الرسول ﷺ بالرد الفوري والتجاوب المباشر مع الآيات التي تدعو إلى التسبيح والذكر والدعاء.

- استحضار الحزن والبكاء عند التلاوة، لأن البكاء طريق الخشوع والخضوع ، وصفة المحبتين الأوابين المتدبرين.

- استخدام أسلوب المقارنة والقياس، ليرى الإنسان مدى قربه أو بعده عن الأوصاف والأخبار الواردة في الآيات القرآنية، فيدفعه ذلك للاجتهاد في الأعمال الصالحة، والنفور من الأعمال السيئة.

سابعاً - حسن الاستماع والإنصات لكتاب الله الكريم

الاستماع للقرآن له آداب، ينبغي أن يتحلى بها العامة والخواص، وللإنصات أهمية عظيمة في تدبر كتاب الله، ومن تليت عليه الآيات وأحسن استماعها، نال خيراً كثيراً وعلماً غزيراً، وإيماناً متجدداً، وهدى متزايداً، وبصيرة في الدين. ويتعرض المسلم العادي للاستماع القرآني في مواطن كثيرة، ولذا كان من الواجب استثمار هذه المواطن في تحصيل التدبر.

ومن الطرق العملية لتفعيل هذه المهارة ما يلي:

- مجاهدة النفس للتركيز أثناء استماع تلاوات الأئمة في الصلوات الجهرية ، وكذا سائر القراءات في الإذاعات والقنوات، أو في الجوالات والحاسبات.

- تخصيص الأوقات، والتفرغ لاستماع الآيات القرآنية، بدون الانشغال بأي أمر آخر، من أجل التفكير والتأمل في المعاني والإرشادات.

- إشاعة ثقافة الاستماع للقرآن في المجالس والمناسبات، ثم المناقشة في المعاني الظاهرة للآيات، والاستفادة من حضور العلماء في تلك المجالس، لاستخراج الاستنباطات والحكم.

- ملازمة أسس الاستماع التربوي، ومنها: التفكير أثناء الاستماع للآيات، والخشوع والبكاء أثناء الاستماع، وعقد العزم على الاستجابة المطلقة.

- استشارة المتخصصين في القراء الذين يُستمع لقراءتهم، من حيث التزامهم بالخشوع، وحسن الوقف والابتداء، والتزامهم بأحكام القراءة والتجويد.

المبحث الخامس - أهم النتائج والتوصيات

- عامة أفراد المجتمع هم الذين انخرطوا في الأعمال الحياتية، ولهم شخصياتهم المستقلة في التفكير والاهتمام ، وغالباً ما يكونون في المرحلة العمرية التكليفية، وهم الكبار من الرجال والنساء في المجتمع .
- دوافع الكبار للتدبر تندرج تحت الحاجات الإيمانية التي تشعر النفس الإنسانية بالرغبة فيها، ولا تهدأ وتطمئن إلا بالتزود منها. و تقع ضمن الحاجات الثقافية.
- من أهداف تعليم التدبر للكبار: تعميق محبة الله وتقواه في النفوس، وتنمية الجوانب الإيمانية والخلقية لديهم، وربط الخبرات المتراكمة لدى الكبار بالآيات القرآنية .
- من واجبات أهل العلم لغرس التدبر لدى الكبار: تكثيف الدروس الإيمانية والمواعظ القلبية، وإفشاء دروس السيرة النبوية المرتبطة بالآيات القرآنية، والتفعيل الإعلامي لمفهوم التدبر .
- من المهارات المقترحة لتحصيل التدبر: اتخاذ أسلوب التكرار للآيات ، والمحافظة على قيام الليل، وربط الآيات المتلوة بالواقع الشخصي للقارئ، والتعرف على كيفية التدبر وصوره، وحسن الاستماع والإنصات لكتاب الله الكريم.
- يوصي الباحث بإجراء دراسات ميدانية، لتطبيق مهارات التدبر وتفعيلها مع عدد من الموظفين العاملين في المؤسسات الحكومية والأهلية.

المراجع

- أساليب تدريس مهارات اللغة العربية وآدابها، د. عبدالفتاح حسين البحة . الإمارات العربية المتحدة،: دار الكتاب الجامعي، ط ٢٠٠١ .
- تعليم الكبار والتعليم المستمر .. المفهوم - الخصائص - التطبيقات، د. هيا بنت سعد الرواف . الرياض: مكتب التربية العربي لدول الخليج، ط ١٤٢٣ .
- تعليم الكبار والتعليم المسهر .. النظرية والتطبيق، د علي أحمد مذكور. عمان: دار المسيرة، ط ١٤٢٧ .
- الجامع في شرح الأربعين النووية، لأبي عبدالله محمد يسري. القاهرة: دار اليسر، ط ١٤٢٧ .
- جامع العلوم والحكم في شرح خمسين حديثاً من جوامع الكلم، تأليف زين الدين أبي الفرج عبدالرحمن بن شهاب الدين بن أحمد بن رجب الحنبلي البغدادي. القاهرة: مؤسسة الكتب الثقافية، ط ١٣٨٢ .
- سيرة الرسول ﷺ .. صور مقتبسة من القرآن الكريم، تأليف الأستاذ محمد عزة دروزة، عني بهذه الطبعة ونظم صورها خادم العلم عبدالله بن إبراهيم الأنصاري، طبع على نفقة صاحب السمو الشيخ خليفة بن حمد آل ثاني. الدوحة: المؤتمر العالمي الثالث للسيرة والسنة النبوية، محرم ١٤٠٠ .
- طرق تعليم الكبار، د. شوكت عليان. بغداد: مطبعة الجامعة، ط ١٣٩٨ .
- فن التدبر في القرآن، د . عصام بن صالح العويد . الرياض: مركز التدبر للاستشارات التربوية والتعليمية، ط ١٤٣٠ .
- المحرر الوجيز في تفسير الكتاب العزيز، لأبي محمد عبدالحق بن عطية الأندلسي . ، .
- المرجع في تعليم الكبار، الأستاذ محمد عمر الطنوبي. الاسكندرية: دار المطبوعات الجديدة، ط ١٤١٤ .
- منهج تعليم الكبار .. النظرية والتطبيق، د. علي أحمد مذكور. القاهرة: دار الفكر العربي، ط ١٤١٦ .
- مهارات في اللغة والتفكير، د. نبيل عبدالهادي، ود. عبدالعزيز أبو حشيش، ود. خالد بسندي. عمان: دار المسيرة، ط ١٤٢٥ .
- الموقع الالكتروني للجمعية الخيرية لتحفيظ القرآن بمحافظة جدة :
[/http://www.quranmakkah.org](http://www.quranmakkah.org)